الثاني نمو وتعاظم النفوذ الروسي داخل ما تبقى من الامبراطورية العثمانية ٠

هذان الخطران اذا ما تحققا ، يغلقان امام بريطانيا امكانية السيطرة على شرق البحر المتوسط ، ويجعلان تجارتها مع جنوب شرق اسيا والهند تحت رحمة المحطة الوسيطة ( الامبراطورية الجديدة ) ٠ ومما عزز الخوف من الخطر الروسي ، اقدام الامبراطورية القيصرية على انزال فيلقين ( حوالي ٤٠ الف جندي ) على الشاطىء الاسيوي للبوسفور ، والشاطىء التركي للدانوب ، استجابة لطلب السلطان العثماني بعد هزيمته امام ابراهيم باشا في معركة كوتاهية (٢شباط ١٨٣٣ ) ٠ هذا التدخل « افزع انجلترا وفرنسا فهرعتا لصالحة محمد علي مع السلطان ، من اجل ان تحرم روسيا من حجة تتذرع بها لابقاء قواتها في البوسفور » (٧) ودفعتا محمد علي ، لقبول فرمان السلطان العثماني الذي سمي صلح كوتاهية (٤ـ٥ـ١٨٣٣ ) ، حيث ثبت السلطان حقوق محمد علي ( في مصر والجزيرة العربية والسودان وكرية ) وعينه حاكما على ( فلسطين وسوريا وكيليكيا )٠(٨)

هذه الخطوة التي بدت ظاهرا انها تدعم نفوذ محمد علي على حساب الامبراطورية التركية ، كانت في حقيقة الامر سعيا لضرب الطرفين معا ، مبتدئين بضرب النفوذ الروسي والماني الجديد من خلال الغاء معاهدة هنكار اسكلس واتفاقية مونخن غراتز ٠

شواهد التوجه البريطاني نحو فلسطين :

يمكن رصد الخطوات البريطانية باتجاه فلسطين في السنوات اللاحقة بالاتي :

عقدت بريطانيا مع تركيا معاهدة تجارية سنة ١٨٣٨ ضمنت امكانية ( دخول بضائع بريطانيا والدول الرأسمالية الاخرى الى اسواق الاقطار العربية ) ٠ (٩) فبدأت الزراعة الفلسطينية تحت هذا التأثير ، تأخذ سمة الانتاج البضاعي حين بدأت تختص منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر في انتاج المحاصيل السلعية ، كالقطن ، والحبوب والصوف ٠ (١٠)

ـ طلبت بريطانيا من مونتفيوري مقابلة محمد علي باشا عام ١٨٣٨ والاتفاق معه على تأجير اليهود مائتي قرية عربية بهدف الزراعة « مقابل عشرين في المائة من المحصول» ٠ حيث « تعهد محمد على بالترخيص لليهود في شراء اية مساحة يستطيعون ان يجدوها في ربوع سوريا » ٠ (١١)

ـ عام ١٨٣٨ تأسست القنصلية البريطانية في القدس ، ووجهت جهودها الرئيسية « لحماية اليهود وتحسين اوضاعهم ، عندما كان لا يزيد عددهم في فلسطين عن ٩٧٠٠ نسمة حسب تقرير نائب القنصل البريطاني » ٠ (١٢) وتصف المؤرخة باربره توخمان تقييم اللورد شافتسبوري لاهمية تعيين اول قنصل بريطاني في القدس بقولها :« ان تربة فلسطين ومناخها ملائمان على نحو فريد لنمو محاصيل تلبي حاجات بريطانيا العظمى ٠٠ والمطلوب هو راس المال والمهارات لااكثر ٠٠ ستوفرها بريطانيا ٠٠بعد ان اصبحت فلسطين تتمتع بوجود موظف بريطاني فيها ، وبالامن المتزايد الذي يضفيه وجوده على الملكية ( بضم الميم ) ٠ ما الذي يمنع العالم اذن من مشاهدةعودة اليهود اخيرا ( الى فلسطين ) « الذين لن يعمدوا الى الزراعة في اية ارض اخرى ، والذين سيصبحون زارعي اليهودية والجليل مرة اخرى بعد ان وجدوا في القنصل البريطاني وسيطا بين الباشا وبين شعبهم » ٠ (١٣)